صـــوف و (دمور)

جلست ذات مساء فى دكان الخياط ضجراً من ضياع وقتى فى انتظار بدلتى متعجباً من أن يخلف الخياط موعده إياى أربع مرات وهو لا يزداد خجلا فى كل مرة عنه فى سالفتها وإنما يزداد هـدوءاً وصفاقة وجه لأنه لم يخجل قط وذلك فيما أرى لكثرة ما ألف من خلف الوعد ...

ولم أجد شيئاً أتفرج به بعد أن فرغت من التفكر فى صفاقته فثقل علىّ الإنتظار وهممت بالإنصراف ، وإذ ذاك دخل الدكان شابان حاسرا الرأس لم ألبث أن أحسست أن فيهما ما أنشد من فرجة ... كان أحدهما فيما قدرت فى العشرين أو فوق ذلك قليلا ، وكان الثانى دونه بنحو عامين ، وكانا كلاهما من أناقة الملبس وسطوع الألوان بحيث يستوقف ذلك منهما البصر قبل أى صفة غيره .. ونظرت فإذا بأصغرهما يتخطر إلى المرآة فينظر فيها نظرات أشاعت فى عينيه وملامحه جميعاً الإعجاب والغبطة ، ثم يصلح رباط عنقه ويصف شعر فوديه ، وقد اطمأن إلى بريقه ونعومته ، ويستدير يمنة ويسرة فينظر إلى عطفيه وجانبيه ، ثم يلقى نظرة على هيكله كله فى بدلته الجديدة ، ويستدير المرآة مزهواً يصفر بشفتيه لحناً وفى مشيته من الطراوة والتخلج ما لا يدع فى بدنه من الرجولة إلا الإسم. وأخرج الثانى مشطه ومشى إلى المرآة فأصلح شعره ورنق فى لمحات قصيرة من جمال طلعته وأناقة بدلته ، ثم جاء فجر مقعداً وجلس عليه قبالة صاحبه الذى اختار أن يجلس على حافة منضدة فى وسط الدكان معتقلا ركبته بيده تارة ، مستنداً إلى ذراعيه يكاد يستلقى على ظهره فوق المنضدة تارة أخرى ... وما اختار المنضدة مقعداً فيما أعتقد إلا ليبقى تجاه المرآة يستمتع بما يرى من وجاهة .

وأخرج أصغرهما علبة سكائره ومدها إلى صاحبه ، وراحا يرسلان الدخان فى جو الدكان ورأيت لأصغرهما أوضاعاً يتكلفها للسيكارة بين أصابعه وفى فمه وفى كفه إذ يشير بها أثناء الحديث ، وأوضاعاً للدخان كيف يرشفه وكيف ينفثه وذلك عنده من مصطلحات الأناقة والظرف ، واستبطأ الخياط ، وضجرا من أن تضيع دقائق من وقتهما الثمين فى انتظاره ؛ وكان الأصغر يثب إلى الباب كل دقيقتين أو ثلاث يضن بأناقة ورشاقة أن يذهبا سدى طول هذا الوقت الذى يحجبه فيه الدكان وهو ما خرج ورفيقه من دارهما إلا لتعجب بهما الغانيات ! وصحبه رفيقه إلى الباب وقد أبصرا من بعد فى ضوء المصابيح بعض الفتيات ، وعادا يفتقدان ساقى هذه ويمتدحان قوام تلك ؛ ثم جلسا يستعرضان فى ضحك وتحمس ما يعجبهما فيمن يعرفن من كواكب السينما من سيقان وعيون وشفاه ، وكل منهما يدافع عن وجهة نظره فى قوة ، كما لو كانا يتجادلان فى مسألة من مسائل العلم أو الأدب أو الاقتصاد ، وهيهات أن يبقى ما يرعاه فيه من علم الجمال وما حفظاه من أسماء الكواكب الزهر فى رأسيهما فراغاً لشىء من ذلك الجد وهما بعد كما عرفت من كلامهما طالبان فى الجامعة ...

وجاء الخياط فسأله الأصغر عما عنده من قماش ، ونظر نظرة فى الألوان وسأله عما يطلب ثمناً لبدلة منه ؛ فقال الخياط أربعة وعشرين جنيهاً . وإذ ذاك ألقى الفتى بالقماش من يده ، وقال وهل ألبس بدلة بأربعة وعشرين جنيهاً ؟ وتملقه الخياط بقوله إذا كان مثلك يا سعادة البك لا يدفع هذه القيمة فمن يدفع ؟ وضحك الفتى ورفع رأسه وتأبه وشمخ بأنفه وقال للخياط أريد بدلة كهذه وأشار إلى بدلته ، لقد أخذ خياطى ثمناً لها خمسين جنيهاً ... وكأنما أراد الفتى أن يبين للخياط بدليل آخر مبلغ جهله بقدره ، فأشار إلى رباط رقبته وسأله كم تظن ثمن هذه الكرافتة ؟ فقال الخياط لا يقل عن جنيه ونصف يا سعادة البك ! فضحك الفتى ثانية ضحكة مازجتها الكدرة وقال ثمنها ثلاثة جنيهات ونصف ... ثم سلم هو وصاحبه وخرجا من الدكان .. ونظر إلى الخياط وقال لهذا السبب ينجح الخواجات فمبلغ الواحد من هؤلاء اللاعبين بالمال إلا أن يقال إنه يلبس بدلة ثمنها كذا ، أما قيمتها الحقيقية فآخر ما يفكرون فيه ، وفى البلد آلاف بل ملايين لا يجدون بضعة أمتار من الدمور ..

وملت بموضوع الحديث عن وجهته لما فى نفسى من ضجر وغيظ من الخياط الناقد ، فقلت وهل ينجح الخواجات بهذا وحده ؟ فهز رأسه مستفهماً فقلت : وبصدقهم فى المواعيد ... ومضيت بدون بدلتى ضجراً من خلف الخياط وإن بقى لكلامه أثر قوى فى نفسى ظل يذكرنى أياماً بالجنيهات الخمسين وبضعة الأمتار من الدمور

القفيف